

فِيصَلُ بِنِ الْحَسِينِ

الجزء الثاني: حاكم سوريا 1918-1920



صاحب الجلالة فيصل الاول ملك سوريا العظمى





- تسربت أخبار اتفاقية سايكس-بيكو Sykes-Picot أثناء الثورة العربية
- ولكن بريطانيا أنكرت وجود اتفاقية ... «مجرد مشاورات بين الحلفاء
- «...»
- ولكن منذ اليوم الأول لدخول فيصل وألنبي إلى دمشق بدأت بريطانيا
- بالتطبيق الفعلي للاتفاقية ... توزيع القوات ... تقسيم الأراضي ...
- اجتمع ألنبي Allenby بفيصل في 3 تشرين الأول 1918 بدمشق
- واعتبره قائداً عسكرياً تحت إمرته واعتبر المناطق التي تم تحريرها من
- سيطرة الأتراك «أراض للعدو محتلة من قبل الحلفاء»
- أوصى فيصل أيضاً ألا يشغل باله بالإدارة، حيث أن مصير هذه المناطق
- سوف يقرره مؤتمر الصلح في باريس ...
- عين ألنبي ضابطي ارتباط واحد فرنسي وواحد بريطاني
- الكابتن مرسييه Mercier والكولونيل كورنواليس Cornwallis
- وحصّر ألنبي سلطة فيصل في الجزء الداخلي من سوريا
- (دمشق- حمص- حماة- حلب، عمان، معان)
- لم يعطه أي حق في لبنان أو فلسطين

- حصل هذا بينما الجماهير في شوارع دمشق تحتفل بالتحريير والاستقلال
- كل ماكان يملكه فيصل آنذاك هو الاحتجاج على هذه الترتيبات خصوصاً
- احتلال القوات الفرنسية للساحل السوري ولبنان
- ولكن قدر المستطاع حاول أن يتجاهل سلطة ألنبي والفرنسيين:
- عيّن حاكماً عربياً على لبنان (شكري الأيوبي)، وتمّ رفع العلم العربي في
- مدنه ... كما عيّن حاكماً على اللاذقية (رشيد طابع)
- هذا الوضع لم يطل سوى لأيام. في 8 تشرين الثاني (1918) عيّن الجنرال
- ألنبي الكولونيل الفرنسي دو بياباب De Piapape حاكماً للمنطقة
- الغربية (لبنان والساحل السوري)
- وأنزلت الأعلام العربية في بيروت وبقية المدن الساحلية الأخرى
- واحتجّ فيصل وهدّد بالاستقالة
- فاجتمع ألنبي به مرة أخرى في دمشق وأكّد له أن هذه الإجراءات «مؤقتة»
- وتحت ضغط ألنبي اضطر فيصل إلى سحب شكري الأيوبي من بيروت
- كما استدعى فيصل ابراهيم هنانو إلى حلب
- كان هنانو على رأس قوات عربية في أنطاكية
- وتعاطفاً مع فيصل أبقى ألنبي حاكماً عربياً في اللاذقية

- كان هذا مخالفاً لخارطة سايكس-بيكو
- ألنبي كان يريد للدولة العربية منفذاً على المتوسط
- بالنسبة للمنطقة الجنوبية (فلسطين) أبقاها بإدارة قائد عسكري بريطاني
- كانت خطوة في طريق تنفيذ وعد بالفور (2 تشرين الثاني 1917)
- من جهة أخرى، شكّل فيصل حكومة تمثل كامل سوريا الطبيعية

- كانت علاقة فيصل بالشخصيات السياسية عموماً جيدة جداً
- وكان يتمتع باحترامهم واحترام العامة من الناس
- كان - برأبي - متقدماً على عصره
- كان قومي الفكر والتوجه، ولكنه لم يكن متعصباً أبداً
- وكان يشدد على المساواة بين جميع مكونات الشعب
- «إن العرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد، وعليه فمن يسعى لإيقاع الشقاق بين المسلم والمسيحي والموسوي فما هو بعربي».
- وبالنسبة لحلم القوميين في زمنه بإقامة دولة عربية واحدة كان يؤكد على التمايز في مختلف المناطق في المشرق العربي: الحجاز، فلسطين، العراق ...
- وكان يدعو لوضع قوانين تلائم البيئة المحلية ...

- وكان يحرص على نشر العلم ويشجع القادرين على التبرع لبناء المدارس
- ولكنه لم يدرك أهمية التركيز العملي على بناء جيش وطني قوي وسط هذا الخضم من الأخطار الاستعمارية ...
- وكان يشترك مع والده بالثقة الزائدة ببريطانيا ووعودها للعرب
- وكان خداع بريطانيا لا يعرف حدوداً وظلت تعطي تطمينات كاذبة للعرب حتى مرحلة متقدمة
- مثلاً: إزاء شكوك الحسين وشكواه من صدق نوايا بريطانيا وحايقتها فرنسا أصدرت بريطانيا تصريحاً مشتركاً مع فرنسا في 8 تشرين الثاني 1918 :
«إن السبب الذي من أجله حاربت فرنسا وإنكلترا في الشرق ... هو لتحرير الشعوب التي رزحت أجيالاً طوالاً تحت نظام الترك، تحريراً تاماً نهائياً، وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالي الوطنيين اختياراً حراً ... وليس من غرض لفرنسا أو بريطانيا أن تجبرا أهالي هذه المناطق على الحكم الذي تريده ...»

- من المهم الإشارة إلى أن بريطانيا لم تكن متفقة مع فرنسا على جميع تفاصيل تقسيم المنطقة
- كانت حتى أيلول 1919 تحاول كبح جماح فرنسا المتوثبة لابتلاع سوريا بأكملها
- بهذا المعنى لم تكن بريطانيا تريد أن تكون خيانتها للعرب كاملة
- وكانت حتى ذلك التاريخ تحمي فيصلاً من اندفاع فرنسا ...
- ففي الأيام الأولى لدخول بريطانيا سوريا (تشرين الأول 1918) حاولت اعتبار اتفاقية سايكس-بيكو ملغاة ...
- حجتها كانت في خروج روسيا منها وأخذ دور الولايات المتحدة بعين الاعتبار في الصلح النهائي بعد الحرب العالمية الأولى ...
- مثلاً، لو تُرك الأمر لها وحدها لسمحت لفیصل ورفاقه الوطنيين بإنشاء دولة عربية في الداخل السوري ... من دون فلسطين طبعاً
- ولكن اعتبارات المصالح الاستعمارية انتصرت في النهاية كما سنوضح لاحقاً

فيصل في مؤتمر الصلح

- وصل فيصل إلى فرنسا في 26 تشرين الثاني 1918
- ومن المفارقات التاريخية أن من عداد الضباط الذين استقبلوه كان الجنرال غورو Gouraud ...
- في هذه الزيارة، التي شملت فرنسا وإنجلترا، ارتقى فيصل إلى مرتبة شخصية دولية مهمة

- ولكن مهمة فيصل كممثل لوالده الحسين وللوطنيين العرب كانت محفوفة بمصاعب هائلة
 - فقبل وصوله كانت بريطانيا وفرنسا تتباحثان في تعديل اتفاقية سايكس-بيكو ... كل انطلاقة من مصلحته
 - (بريطانيا كانت تريد نفط الموصل ووضع يدها على فلسطين وعدم تركها لإدارة دولية)
 - (فرنسا كانت تريد الانتداب على كامل سوريا + حصة من نفط الموصل)
 - وكانت هناك أربع مؤامرات تُحاك لفيصل وللغرب ومطامحهم:
1. مخططات بريطانيا الاستعمارية في العراق وفلسطين
 2. مخططات فرنسا الاستعمارية في سوريا
 3. المشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين
 4. مخطط فصل لبنان عن سوريا ...

- في المؤتمر اعتقدَ فيصل أنه سيجد عوناً من الولايات المتحدة ورئيسها وودرو ويلسون Woodrow Wilson ومساعدته الكولونيل هاوس House... وكانا معجبين كثيراً بشخصية فيصل ...
- أعطى ويلسون لفیصل وعداً لم يُنفذ: « لن تروا في بلادكم أبداً أعمالاً للاستعمار باسم المشورة أو خلافها، وإذا أحوجتكم المشورة فستكون بناء على رغبتكم وموافقتكم».
- ولكن في النهاية لم تمنع الولايات المتحدة في قبول فكرة الانتداب mandate التي اخترعتها القوى الاستعمارية الأوروبية كقناع لنفوذها الاستعماري ...
- بصيص الأمل الوحيد الذي أُعطي لفیصل كان اللجنة الدولية التي اقترحتها أميركا لجنة كنج -كرين ... Kin-Crane Commission

- ولكن التطور الخطير الذي حدث هو رمي بريطانيا لفیصل فی حزن فرنسا وضغطها علیه لكي يتفاهم مع رئیس وزراءها كلمنصو Clemenceau
- هنا سجّل فیصل تراجعاً فی نيسان 1919 بقبول «المساعدة المادية والمعنوية» من فرنسا ولكن كلیمنصو كان یعنی بتفاهمه مع فیصل إرسال جنود فرنسيين لسوريا ورفع العلم الفرنسي ...
- وسجّل فیصل تراجعاً خطيراً آخر حيث بدأ یركّز علی سوريا بدلاً من الدولة العربية الفدرالية التي كان الوطنیون ینادون بها ...
- ثم تُركت الأمور معلّقة بین فیصل من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى حتى خريف 1919
- وعاد فیصل إلى سوريا فی نهاية نيسان 1919 بعد غياب خمسة أشهر.

- انصبّت جهود فيصل على تهيئة الشعب أمام اللجنة الأميركية ...
- بقيت اللجنة في المنطقة من 10 حزيران إلى 21 تموز 1919
- وقدمت اللجنة تقريرها وتوصياتها في 28 آب 1919 إلى المندوبين الأميركيين في مؤتمر الصلح:

1. «إقامة الانتداب تحت إشراف عصبة الأمم بمفهومه المتطور والحسن، وتحديد زمن له ... وإزالة الخوف السائد من أن سوريا ستستعمر وحدة سوريا لأن ذلك يوافق رغبات الشعب واللغة والاقتصاد والثقافة والعادات، ويبقى لبنان مستقلاً ذاتياً ضمن الوحدة السورية
3. وضعها (سوريا) تحت انتداب واحد ...
4. أن يكون الأمير فيصل رئيساً لها لأنه أتى إلى مكانه بشكل طبيعي، فقد اختاره المؤتمر السوري، وهو ابن شريف مكة وأحد قادة العرب المعاصرين ... ولا يوجد رجل مثله يحل مكانه ...
5. وجوب التقليل الكبير للبرنامج الصهيوني الواسع والقاضي بهجرة يهودية غير محددة إلى فلسطين، لأن 90% من السكان ضد الصهيونية ... ويجب إلغاء فكرة إقامة وطن يهودي في فلسطين، ولا ترى اللجنة مانعاً من بقاء فلسطين ضمن الوحدة السورية.

- وفيما يخص الانتداب فيُنصح أن يكون أميركياً بالدرجة الأولى أو بريطانياً بالدرجة الثانية، أما فرنسا فإن العرب السوريين يرفضونها بنسبة 60%، ... ولكن اللجنة أبدت مخاوفها من الانتداب البريطاني، لأنه قد يتحول إلى استعمار دائم»
- ولكن تم تجاهل اللجنة بشكل كامل بسبب انسحاب أميركا من المشهد
- بنفس الوقت بدأت بريطانيا تعيد النظر في تحالفها (الهش أصلاً) مع فيصل
- كانت غاضبة منه بسبب دعمه لطموحات العراقيين
- وكانت مصالحتها مع فرنسا أقوى (نפט الموصل ...)

- ففي 13 أيلول 1919 اتفقت بريطانيا وفرنسا على ترتيبات جديدة:
- وافقت بريطانيا على إجلاء قواتها عن سوريا بالكامل
- وأصبحت سوريا بما فيها القسم الداخلي (دمشق، حمص، حماة، حلب) لقمة سائغة للاحتلال الفرنسي
- وبعد ذلك اتفقا لاستدعاء فيصل لإبلاغه بالاتفاق ووضع أمام الأمر الواقع
- وأضاع فيصل المزيد من الوقت في أوروبا في زيارته الثانية
- وكان يتخبط بين الوفد الأميركي والمسؤولين البريطانيين والفرنسيين محاولاً الحصول على بعض التنازلات ... عبثاً

بدلاً من ذلك وقّع اتفاقية مبدئية مع كليمنصو رئيس الوزراء الفرنسي في
6 كانون الثاني 1920

بحسب الاتفاقية تضمن فرنسا «استقلال» سوريا ضمن الحدود التي
سيعترف بها مؤتمر الصلح

- ويعترف فيصل «باستقلال» لبنان تحت الانتداب الفرنسي
- ويقبل بالتواجد العسكري الفرنسي
- وبوجود مفوض سامي فرنسي
- واشترط فيصل عرض الاتفاقية المبدئية على الشعب السوري ليوافق
عليها قبل أن تصبح نهائية

- ولكن الوضع في سوريا كان في حالة غليان
- عمّت المظاهرات الراضة للاتفاقية
- وتعالّت الدعوات للتسلح والمقاومة ...
- وبعد عودة فيصل إلى سوريا أصبح تحت ضغط القوى الوطنية لدفعه إلى الالتزام بالخط الوطني
- وانهقد المؤتمر السوري في 6 آذار 1920 برئاسة هاشم الأتاسي

- وفي اليوم التالي أجمع المؤتمر على إعلان استقلال سوريا بحدودها الطبيعية (بما فيها فلسطين)
- ورفض وعد بالفور
- وإعلان استقلال العراق وإقامة اتحاد اقتصادي بينه وبين سوريا
- وتتويج الأمير عبد الله ملكاً على العراق
- وإعلان فيصل ملكاً دستورياً على سوريا

- في هذه الأجواء عقد المجلس الأعلى للحلفاء مؤتمراً في سان ريمو بإيطاليا (19 إلى 26 نيسان 1920)
- طبعاً كانت أميركا غير ممثلة فيه
- الغاية كانت وضع اتفاقية خاصة بتركيا والاقتراس النهائي لتركيتها العربية في المشرق العربي
- وأعطى الانتداب على سوريا (بما فيها لبنان) لفرنسا
- وأعطيت بريطانيا الانتداب على فلسطين والعراق
- وخلال المؤتمر اتفقت بريطانيا وفرنسا على نطف العراق (25% لفرنسا) ...
- وربط المؤتمر استقلال هذه البلدان بنظام الانتداب وأضحى الاستقلال كلمة بلا معنى
- وقد اعترف لويد جورج Lloyd George رئيس الوزراء البريطاني بأن نظام الانتداب هو نتيجة للإمبريالية القديمة ...

احتلال فرنسا لسوريا ونهاية حكم فيصل

- في 14 تموز 1920 وجّه غورو قائد القوات الفرنسية في سوريا إنذاره ألى فيصل بقبول الانتداب الفرنسي وأرفقه بشروط تشبه الاستسلام ...
- كان غورو مايزال متمركزاً مع قواته في الساحل السوري
- وقبلَ فيصل الإنذار رغم معارضة المؤتمر السوري
- وبدأ بتسريح الجيش
- ولكن غورو تذرّع - زوراً - بتأخر رد فيصل واجتازت قواته مواقع استراتيجية في لبنان بعد أن أخلتها القوات العربية وتوجّهت نحو دمشق
- أدرك فيصل والزعماء الذين اقتنعوا بوجهة نظره بأن غورو عازم على احتلال سوريا
- أوقفوا تسريح الجيش ... بصورة متأخرة ...
- ووقعت معركة ميسلون في 24 تموز 1920 ... ودخل الفرنسيون دمشق في اليوم التالي، وكان فيصل قد التجأ إلى الكسوة ... ثم إلى درعا، إلى أن هدد الفرنسيون بقصفها، فغادرها إلى حيفا ثم إلى